

الأقسام في القرآن

(105) المسطور والمكتوب، وعلى ذلك حلف سبحانه بجنس القلم وبنسب الكتابة، أو بجنس المكتوب، كأنه قيل: "أحلف بالقلم وطرهم أو مسطوراتهم". ثم إن في الحلف بالقلم والكتابة والمكتوب إلماعاً إلى مكانة القلم والكتابة في الإسلام، كما أن في قوله سبحانه: (عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) إشارة إلى ذلك، والعجب أن القرآن الكريم نزل وسط مجتمع سادته التخلف والجهل واللامية، وكان من يجيد القراءة والكتابة في العصر الجاهلي لا يتجاوز عدد الأصابع، وقد سرد البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" أسماء سبعة عشر رجلاً في مكة، وأحد عشر من يثرب. (1) وهذا ابن خلدون يحكي في مقدمته: أن عهد قريش بالكتابة لم يكن بعيداً، بل كان حديثاً وقريباً بعهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). (2) ومع ذلك يعود القرآن ليوكد بالحلف بالقلم على مكانة القلم والكتابة في الحضارة الإسلامية، وجعل في ظل هذا التعليم أمة متحضرة احتلّت مكانتها بين الحضارات. وليس هذه الآية وحيد نسجها في الدعوة إلى القلم والكتابة بل ثمة آية أخرى هي أكبر آية في الكتاب العزيز، يقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بِيَدِكُمْ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْتِ بِكُتُبٍ أَمْ لَا يَعْلَمُ اللَّهُ فَلَْيَكْتُب...). (3) كما أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حدث على كتابة حديثه الذي هو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم: 1. أخرج أبو داود في سننه، عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل _____ 1 - فتوح البلدان : 457 . 2 - مقدمة ابن خلدون: 418. 3 - البقرة: 282.